استلاب الهويّة الموريسكيّة

(رواية حصن التراب لأحمد عبد اللطيف أنموذجاً)

The Usurpation of the Maurician Identity

The Novel Fortress of the Dirt by Ahmed Abdel Latif as a Model

م.د. عبود توفيق عبود

Lect. Dr. Abboud Tawfiq Abboud

جامعة ديالى / كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة

University of Diyala-College of Physical Education and Sport Science

E-mail: abboud.tawfiq@uodiyala.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الاستلاب، الهويّة، الأندلسي والموريسكي، أنواع الاستلاب.

Keywords: Alienation, identity, Andalusian and Morisco, types of alienation.

الملخص

تسعى الرواية إلى كشف المسكوت عنه في التاريخ الذي يمثّل حقبة ماضية قد تتكرر بشاعته في أيّ زمان أو مكان، يستشعر فيه الإنسان بالاستلاب والقمع ونفي هويته أو تشظّيها، وينشأ ذلك عند اضطراب العلاقة بين الأنا والآخر، أو بين الحاكم والمحكوم، وغالباً ما يفرض المنتصر أفكاره على المغلوب ليتحول مجتمع الأغلبية إلى أقلية فيبدأ مشوار الذات في إثبات هويتها ومقاومة التغيير المفروض عليها، لذلك اتخذت الرواية من العودة إلى التاريخ مجالاً إبداعياً لكشفه، وللتحذير من وقوعه في الحاضر، واتخاذ العبرة منه، ولتوعية المتلقي وتوجيه ذهنه، فكان التخيل التاريخي مادة لتشكيل الخطاب السردي المفضي إلى لملمة الماضي وفتح وجهات نظر في أحداثه التي تكشف عن تنوع العالم واختلافه، ومن ثم سرد أحداث الأقليات المغبونة ولا سيما معاناة الموريسكيين.

Abstract

The novel seeks to uncover the unknown in history, which represents a past era whose ugliness may be repeated at any time, or a place where a person feels alienation and oppression and the denial or fragmentation of his identity. On the vanquished, so that the society of the majority turns into a minority, and the self's journey begins to prove its identity and resist the change imposed on it،Therefore, the novel took a return to history as a creative field to reveal it, and to warn against its occurrence in the present, and take a lesson from it, and to educate the recipient and lighten his mind. Then he recounted the events of the disadvantaged minorities, especially the suffering of the Moriscos.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد (ﷺ).

أمّا بعد:

فالرواية العربية اســـتطاعت الولوج إلى غياهب التأريخ المســـكوت عنه في المدونات التأريخية، إذ أخذت ثيمة الأعمال من واقع يعيشه الفرد في أيّ مكان في العالم لتبحث عن مشابه له في الماضي وسرد أحداثه، وقد اختار الروائي المصري (أحمد عبد اللطيف) في روايته (حصن التراب) تاريخًا منغلقًا مجهولًا عن مســـمع الأغلبية ألا وهو حقبة ما بعد ســـقوط غرناطة، أو ما يعرف بالموريســـكيين، وطبيعة حياتهم ومأســـاتهم التي غدت ثلمة في خد التاريخ وعالمه، لذلك يعتمد الروائي على تقانة الحداثة في إخراج النص الروائي وتفعيل الحياة في التاريخ، وتحريك مخابئه الســـرية التي يســـتعملها لتكون عملاً ســـردياً يبحث عن الهوية الضـــائعة لذلك المجتمع المنقطع عن جذوره المستلبة حقوقه، عن طريق سرد حياة عائلة موريسكية على مدار أكثر من مئتي عام ونيف، لذلك جاء عنوان البحث موسوماً بـــــ **(استلاب الهويّة الموريسكيّة – رواية حصـــن التراب لأحمد عبد اللطيف أنموذجًا)**؛ لما لهذه الرواية من أهمية في معالجة الهوية الموريسكية التي عانت التعسف والقمع من السلطة القشتالية، واعتماد الروائي على المدونات التاريخية من مخطوطات محاكم التفتيش الإسبانية، والمرسومات الملكية التي عصفت بالهويّة وكيانها في ذلك العصر.

وقد بيّن البحث المفاهيم المتعلقة بأساسياته، إذ توزع على محورين، أولهما **مفهوم الهوية والاستلاب وعلاقتها بالأندلسي والموريسكي**، الذي شرح المصطلحات الأساسية من الاستلاب، والهويّة، والهويّة الأندلسية والموريسكية، وثانيهما: **استلاب الهوية الموريسكية في رواية حصن التراب وأنواعها**، الذي بيّن أشـــكال الاســـتلاب وأنواعه، مثل: الاســـتلاب الديني، والثقافي، والاجتماعي، والمكاني، ومن ثم خاتمة بالبحث وقائمة بمصادره ومراجعه.

واعتمدت المنهج التحليلي الوصـــفي المتكأ على التاريخي في بعض الحالات في تحليل النماذج الروائية التي شكّلت زاوية الهوية وطرائق استلابها.

المحور الأول: مفهوم الهوية والاستلاب وعلاقتها بالأندلسي والموريسكي:

أولًا / الاستلاب لغةً واصطلاحًا:

الاســـتلاب: جاء معنى الاســـتلاب في معاجم اللغة على أنّه: ((أَخْذُ الشَّـــيْءِ بِخِفَّةٍ وَاخْتِطَافٍ)) (ابن فارس، ١٩٧٩، ج٣/ ٩٢)، وقيل إنّ الاســـتلاب هو الاختلاس (الجوهري، ١٩٨٧، ج١/ ١٤٨) أو الانتزاع المفضي إلى الإزالة والمحو (ابن منظور، ١٤١٤، ج٨/ ٣٤٩)، فيشير المعنى اللغوي لمفردة الاستلاب على الأخذ بعنف وإجبار.

أمّا في الاصـطلاح فجاء مفهوم الاسـتلاب على أنّه: ((حالة الفرد الذي يكون نتيجة – لظروف خارجة عن إرادته اقتصادية، أو دينية، أو سياسية – قد انقطع عن الانتماء إلى نفسه، أو عن الشـعور بأنّه المتصـرف في نفسـه)) (وهبة، ١٩٨٤، ٣١)، أو هو ((حالة انبهارية وانسحاقية تحت ظروف خارجية عن الإدارة، وانقطاع عن الانتماء إلى الذات، والتشيؤ القهري)) (علوش، ١٩٨٥، ١١٣)، ويقع الاستلاب على الفرد، ويحمل معناه عندما يمثّل ((حرمان الإنسان من المشـاعر، أو الحركات، أو الأفعال، أو الإنتاج، وامتلاك الآخر له كالأب وربّ العمل، والمسـتعمر والمعتدي، والمسـؤول وانقطاع التواصـل بينه وبين الآخرين وحتى بينه وبين ذاته، والهروب من الواقع إلى عالم الوهم، والإيمان بحتمية تجاوز الحال الحاضـر)) ((زيتوني، ٢٠٠٣، ٢٢)، ويظهر الاسـتلاب في الرواية بطرائق مختلفة؛ لأنها تقدّم الواقع ونقيضـه، وأخذ حالات فردية، أو بيان طبيعة التقاليد الاجتماعية والعقائد الدينية، والسياسية، وكذلك القيم والأفكار التربوية، والأسـرية وغيرها (زيتوني، ٢٠٠٣، ٢٢)، من العلاقات التي تسـلط الضـوء عليها لمعالجتها أو لبيان قيمتها في المجتمع، فيكون القهر، والإجحاف، وانتزاع الهوية وثوابتها بقوة وإرهاب، وإرغام الأفراد التنصـل عن حقوقهم، ومكوناتهم التي انحدروا منها، وإجبارهم على الاندماج في مجتمعات جديدة، والانسلاخ من ماضيهم وخلق حاضر على أرض هشة لا تنتمي إليهم، وفرض قيود على هويتهم الأصـلية وملاحقتهم وعدّها جريمة على من يطبّقها، فيكون الاستلاب بالقهر والإجبار والانتماء لهوية لا تمثلهم.

ثانيًا / الهويّة لغة واصطلاحًا:

الهويـة: إنّ نظرة المعاجم إلى المعنى اللغوي لمفردة (الهوية) معتمد على معان عدة، منها: الغموض، أو العمق، إذ قيل: إنّ ((هُوَيَّةٌ تَصْـغِيرُ هُوّة، وَقِيلَ: الهَوِيَّةُ بِئْرٌ بَعِيدةُ المَهْواةِ... وَقِيلَ: الهُوَّة الحُفْرة الْبَعِيدَةُ الْقَعْرِ، وَهِيَ المَهْواةُ)) (ابن منظور، ١٤١٤، ج٥/ ٣٧٤)، فكانت الرؤية التفسيرية للمفردة مرتبطة بعلاقة جغرافية تكشف المعنى الظاهر منها، في حين إذا نظرنا إلى معنى البئر والحفرة الذين ارتبطا بمعنى الهوية سـيكشـف المعنى الباطن لها أي الخواصّ الماثلة في باطن الأشـياء، وقد نظر الجرجاني إلى تعريف الهوية بقوله:((الحقيقة المطلقة المشـتملة على الحقائق اشـتمال النواة على الشـجرة في الغيب المطلق)) (الجرجاني، ١٩٨٣، ٢٥٧) إذ اقترب من تفسـير المفهوم حينما ربط بين حقيقة الشـيء والنواة التي تعدّ أصـله، أي كشف عن سماته.

أمّا في الاصطلاح فهي: ((مجموعة من السمات التي تسمح لنا بتعريف موضوع معين، وبناء على ذلك فإن التحديد الخارجي للهوية يكون بالبحث عن هذه السـمات وتحديدها)) (ميكشـيللي، ١٩٩٣، ١٦)، إذ تشـكلها سـمات عدة، وتمثل فئة معينة من الشـعوب، أو بلد من

البلدان الذين يشـتركون في الثوابت المكونة لأركانها المسـتظلين تحتها لتشـير إلى ((الشـفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفســه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون، باعتباره منتمياً إلى تلك الجماعة، وهي شفرة تتجمع عناصرها العرقية على مدار تاريخ الجماعة (التاريخ) من خلال تراثها الإبداعي (الثقافة) وطابع حياتها (الواقع الاجتماعي))) (الشامي، ١٩٩٧، ٧)، فالهوية تُخلق بشكل لا شعوري من الإنسان الذي يعيش ومن ثم يُدرك ذاته، حتى يعيها ليشعر بمحيطه الخارجي، بعد ذلك ينشأ السؤال عن هويته (حنفي، ٢٠١٢، ٢٣)، فخصــوصــية الذات المنتمية إلى الجماعة وتباينها مع الآخر المختلف عنها يشــكل وعيها بالانتماء إلى المؤتلف من جنســها لتقترب من المكونات الجامعة لهم وتنفرد عنهم هوية تحمل الصفات المتوارثة، والثوابت الجامعة، التي يُعرفون بها.

ثالثًا / بين الهوية الأندلسية والموريسكية:

اشتملت الأندلس على أعراق وثقافات مختلفة، وتنوّعت هوياتها ولا سيما في بدايات الفتح الإسلامي، إذ دخلها المسلمون؛ ليجدوا فيها بلاداً مختلفة عن موطنهم الأصلي في المشرق، ومع نشوء الدولة العربية الإسلامية فيها تأسست شيئاً فشيئاً هوية مستقلة عن المشرق، لها جذورها المشرقية وأضيفت لها طبيعة المكان وجغرافية البلاد الجديدة وسماً خاصاً بأهلها، لذلك تكونت هوية أندلسية تشكلت بفعل الجغرافية والبيئة التي أسست لحضارة انمازت بالتطور، والرقي الحضاري، وانتقلت من الصراع بين الجذور المشرقية، والانتماء الأندلسي للأرض التي سكنوا فيها، إلى الشعور بالذات الجمعية في ظل الهوية الأندلسية، وزاد من ذلك وحدة الأرض، والدين، واللغة، والسـلطة التي حفرت المكونات الأخرى إلى الاندماج في الثقافة الأندلسـية والشـعور بالانتماء إليها على الرغم من اختلاف إحدى مكونات الهوية عن المجموعة في الدين، أو اللغة، ونلحظ أنّ الشعور بالذات بدأ يظهر بعد أن نشأت أجيال جديدة ولدت على الأرض الجديدة أي الأندلس فلم يعرفوا بلاداً غيرها، وبقيت ذاكرتهم تستحضرها ولا يوجد ما يشتتها، فانتقلت الأندلس من مرحلة النشأة إلى التأسيس، وفي مطلع القرن الرابع الهجري بلغت مستوى النضج والعطاء (ابن محمد، ١٩٩٠، ج١/ ١٧٠)، فضـلًا عن الانتقال من الجمود والالتصـاق بالمشـرق إلى التطور وتقمص الموجودات واصـطفائها (ميكشـيللي، ١٩٩٣، ١٣٠)، فنتج عن ذلك التأسـيس لهوية مستقلة تحمل قيم البلاد وحضارتها، وبدأ الفرد الأندلسي يستشعر باستقلاليته عن المشرق الإسلامي حضارياً، وثقافياً، وسياسياً، واقتصادياً، فالظروف المحيطة به شكلت هويته وبعثت على تمثل الذات والآخر وطبيعة تعايشها على وفق المعطيات التي وفرتها لهم بيئتهم.

وعن طريق التطور الذي حدث في الذات الأندلسية من تشكيلها لهويتها في ثلاثة محاور ((أولاها هوية موروثة جذورها اجتماعية، وثانيها هوية مكتسـبة فعلها في واقعها، وثالثها هوية

مأمولة قصـــدها وجوداً لم يكتمل بعد)) (ريكو، ٢٠٠٩، ٢٧-٢٨)، فانتقال الهوية من مرحلة النشوء إلى النضج مكن الذات من الشعور بقوة الإرادة، وخلق مجالات وسمت بها، وهذا ما تحقق بفعل التطور الحضـــاري الذي حقق تفرداً متميزاً للهوية الأندلســـية، وشـــملت أعراقاً مختلفة من عرب، وبربر، وإســـبان، وغيرهم ممن اندمجوا في بوتقة الانتماء إلى الأرض الواحدة والمصـــير المشترك.

وحافظت الهوية الأندلســـية على أصـــالتها في ظل الحكم الإســـلامي الذي حماها من التشتت، بفعل السلطة والقوة التي شكلت حماية لأفرادها، لكن مع ضعف الدولة وسقوط بعض أطرافها بدأت تنهار انهياراً متسلسلاً؛ لتكون الأزمات التي ولدت تشتتاً لها، وتبعثرت الهوية نتيجة كبر الأزمة الأندلسية التي هزت فكرة الانتماء إلى الأرض وشكّل الآخر عدواً ينهش في جسدها إلى أن تقوضـــت وتخلت عن بعض قيمها وجذورها، لتكون تابعة للآخر المســـتلب لها والمزدري لكُنهها، لذلك انتقلت الهوية الأندلسية من الكمال والنضج والمركزية إلى التشتت والازدواجية بفعل ســـقوط غرناطة التي جعلت من الهوية لازمة تلاحق الذات المنتمية بفعل الثوابت التي شـــكّلت هويتها في الســـابق، وانتقال بواعثها من الولوج إلى الحفاظ عليها إلى الشـــعور بالقلق من الانتماء إليها؛ لأن الآخر الذي أصبح هو السلطة المركزية نقل الانتماء من الأرض إلى تشكيلات الهوية التي عبرت عن الذات الأندلسية من لغة، ودين، وقيم وعادات، ووسمت الهوية بالشعوذة والتدني في المجتمع الجديد لذلك تحولت إلى الهوية الموريسكية.

أنتجت الهوية الأندلســـية هوية الموريســـكي الذي يعد منتمياً لها بفعل الثوابت الدينية، واللغوية، والقيم والعادات الاجتماعية، والأرض التي نشـــأوا عليها، لكن تحولهم من المركزية التي تمثل الأندلس بســـلطتها وحضـــارتها، إلى الهامش واضـــمحلال الإرادة في الوصـــل بين الانتماء الحضاري الأندلسي السابق، والاندماج المجتمعي الجديد في ظل الحكم القشتالي الكاثوليكي الذي فرض القيود التعسفية على من يحمل بذور الهوية الأندلسية ظاهراً وباطناً، وإرغامهم على التخلي عن أي مكون يشـــير إلى جذورهم التي مثلت ذاتهم وجعلتهم مواطنين يشـــكّلون هويتهم الجديدة بأوامر من السلطة التي تبعث على القهر والتنكيل بهم، فلحقهم((الكبت وطمس الهوية عن طريق الخلاف الآيـديولوجي بين الحـاكم والمحكوم)) (حنفي، ٢٠١٢، ٥٤)، لـذلـك جـاء مصـــطلح الموريســـكي من اختراع الســـلطة القشـــتالية، وأطلقوه ((على جميع من بقي في الأندلس من المسـلمين بعد سـقوط غرناطة... وهو صـفة من لفظ moro الذي يطلق في بعض النصـوص الإسبانية على عرب إسبانيا أو مسلميها، أو مسلمي الأندلس والمغرب، أو على المسلمين عامة، وأصـــل هذا اللفظ لاتينيي إغريقية مشـــتقة من كلمة موری(mauei))) (بالنثيا، ١٩٥٥، ٥٠٧) فعبر عن طبقة اجتماعية أقل مستوى في بنية المجتمع الإسباني، فهو مصطلح ظهر بعد سقوط

غرناطة وتشكّل على وفق الاصطلاح السلطوي الذي شكّل فئة اجتماعية وأطّرها في إطار معين على وفق معطيات الجذور الأولية لمكوناتها الدينية، واللغوية، والثقافية، والاجتماعية، وجعل أفرادها يشـــعرون بالذل والقهر والفوارق الاجتماعية بين أبناء الوطن الواحد، لكن هنا نســـأل ما الفرق بين الأندلسي والموريسكي؟

فالأندلسي هو الفرد الذي قَدِم من المشرق الإسلامي مع بدايات الفتح الإسلامي معروف النسب والطبقة الاجتماعية القادم منها، إذ كان ميسوراً اقتصاديًّا، وجاء إلى شبه الجزيرة الآيبيرية برغبته، وأسّـس حضـارة اسـتمرت على مدى ثمانية قرون، ومثّل السـلطة المركزية في الأندلس فتبعه الناس من مختلف الأعراق، إذ توحّدت الأرض والثقافة والدين، وإن كانت هناك أقليات أخرى من يهود ومسيحيين فقد تعايشوا وتصاهروا طوال مدة الحكم الإسلامي، في حين مثّل الفرد الموريسكي استمراراً للفرد الأندلسي، إلّا أنّه أجبر على ترك هويته أولاً ومن ثم التهجير القسري لهم والتعذيب والتنكيل بهم، إذ اندمج بعضـــهم مع المجتمع المســـيحي الجديد في مدن الأندلس، وبعضـــهم قرر الرحيل عن الديار؛ حفاظاً على الدين واللغة والكرامة، ورغبة في تحسـين ظروفهم القاهرة؛ لأنهم أصـــبحوا مواطنين في درجات متدنية في فئات المجتمع الجديد والنظر إليهم على أنهم منبوذون في كل شـيء، لذلك صـعب عليهم تأسيس حضـارة وإعادة بنائها في موطنهم، وإنما الرحيل إلى أماكن يسـتطيعون العيش فيها على وفق الحرية والمعتقد، إلّا أنّ ازدواجية الهوية بين الإسـلام والمسـيحية، واللغة العربية والقشـتالية، وتداخل الثقافات أوقعهم في مشـكلات جديدة، ولا سيما في المناطق التي رحلوا إليها في المشـرق الإسـلامي؛ لاختلافهم في التعاليم الدينية، واللغة، والعادات والتقاليد التي لم تألفها تلك الشـعوب، فضـيق الحرية يؤدي إلى انحسـار الهوية، وتشـتت الأنـا وفقدانها الحرية التي تبعث على اغترابها (طبيش، ٢٠٢١، ١٧٥)، لذلك ظلت ازدواجية الهوية واســـتلابها مواكبًا لهم وعدواً ورمزاً للتهميش، فالهوية الأصـــلية قد انشـــطرت لتنتج هوية ظاهرانية تحيل إلى الأصل إلا إنها تختلف عنها بفعل العنف الذي مورس عليها واستلاب ارادتها والرغبة في زعزعة نسيجها وبدأ ذلك من اسمها، عندما اطلق لفظ موريسكي عليها لتشعر الذات بتبعيتها، وتدنيها، وابتعادها عن هويتها الأصلية.

المحور الثاني: استلاب الهوية الموريسكية في رواية حصن التراب:

أولاً: نظرة شاملة في مضمون رواية حصن التراب:

لجأت الرواية العربية الحديثة إلى البحث عن صـفحات تاريخية مسكوت عنها، ومناقشـة قضـــايا القمع، وفقدان الهوية، واسـتلابها، ليس من باب إعطاء قيم جمالية وموضـوعية للمتلقي، وإنّما لمناقشـــة ذلك التاريخ من وجهات نظر مختلفة لخلق الوعي الجمعي والبحث في الأســـباب وعلاجها في الواقع، وقد اســـتحضـــر الروائي (أحمد عبد اللطيف) الزمن التاريخي بعد ســـقوط

غرناطة وبيان طبيعة الحياة التي عاشها الموريسك، عن طريق رواية (يوميات عائلة موريسكية) وهي عائلة (دي مولينا) ورحلتهم من مدينة كوينكة إلى تطوان في المغرب، التي توضح حياة أجيال موريسكية تحت التشرّد والبحث عن الهوية الضائعة عن طريق قراءة المخطوطات والوثائق المتعلقة بمحاكم التفتيش، والنبش في ماضي العائلة، إذ جعل من الذاكرة ((المنبع الذي يرفد الذات بالمادة التاريخية الذي ترتكز عليها لتقدم للأجيال اللاحقة وعياً تاريخياً إزاء فترة مضطربة عاشتها)) (طبيش,، ٢٠٢١، ١٧٨) فالرواية تسرد حياة عشر شخصيات من (عام١٤٤٣م حتى عام ١٦٨١م)، والاعتماد على تقانة الاسترجاع في رواية الأحداث، وتشكيل الشخصيات بتعدد وجهات النظر في تحليل الأحداث التي تعرضوا لها، والشعور بازدواجية الهوية والتشتت الذي سيطر عليهم بعد تغيير المركزية الإسلامية في الأندلس إلى المسيحية وعدهم مواطنين منبوذين وملاحقة ماضيهم لهم، وجعل أفراد عائلة (دي مولينا) يلجؤون إلى كتابة مذكراتهم والحفاظ عليها، ونسخها من جديد، وتكليف الابن الأكبر في العائلة بهذه المهمة، إذ توارثت العائلة هذه العادة واستمرت في الحفاظ على الهوية في الخفاء، لإيصال صوتهم إلى الأجيال اللاحقة أملاً في التغيير واسترجاع الحقوق، وأخذ الاعتراف بالجرائم التي نكلت بهم المركزية القشتالية.

فاستنطاق التاريخ واستعادته لم يكن من أجل البكاء عليه، وإنّما لاستجلاء العبرة منه والبحث في مصير المقهورين الذين تتكرر قصصهم كلما انتشر الظلم في العالم الذي يخلق طغاة تعتاش على سلب حياة الآخرين وتأسيس ممالكهم الواسعة.

ثانياً: استلاب الهوية الموريسكية في رواية حصن التراب وأنواعها:

تعدّدت صور الاستلاب الذي وضح طبيعة العلاقة بين الأنا المغلوبة والآخر المنتصر، وإثباته بطرائق مختلفة تكشف عن سلبية الأحداث، وضبابية الزمان، وتشوه الأمكنة، وحيرة الشخصيات التي تلجأ إلى الهرب من التشرذم الذي لا يريد أن يفارقها، وكأنها لعنة تصيبهم كلما أرادوا الخروج منها أعيدوا إلى الحلقة نفسها والتي حاولوا الخروج منها، إذ إن ((المرء لا يدرك أهمية هويته إلّا في لحظة مأزومة يواجه فيها المختلف عندئذ يرتد إلى مكوناته الأصلية التي تمنحه الإحساس بوجوده)) (حمود، ٢٠١٣، ١٣)، ونلحظ أنّ الاستلاب تنوّع بين الديني، والثقافي، والمكاني، والاجتماعي الذي نثره الروائي ليسرد التاريخ بشكل مختلف يعتمد فيه على استحضار الماضي، والابتعاد عن العاطفة البكائية، وخلق رؤية تجريدية تحلّل الماضي عن طريق استنطاق الذات لنفسها، وإنشاء حوار يبتعد عن الانغلاق وينفتح على آفاق واقعية تستلهم الماضي لتوثيقه، وبثّ وجهات النظر عن طريقه، وإعطاء المصداقية للأحداث باستعمال الوقائع التاريخية، والمذكرات المؤرخة بتواريخ اعتمدت على أوراق محاكم التفتيش الإسبانية، والانطلاق منها لإنشاء عالم روائي يبتكر الحدث، ويشكل الزمن، ويستنطق الشخصيات، لاستخراج وجهات

النظر في التاريخ وتحريك ذهنية المتلقي، وتحذيره من تكرار التاريخ في الحاضـــر، لذلك جاء الاستلاب في النص الروائي بأنواع هي:

١- استلاب الهوية الدينية:

إنّ المساس بالمكونات الأساسية للهوية يشكل تصدّعاً للبنية القيمية للمجتمع الذي يحمل دعائم الذات، لذلك تنشـأ علاقة صـراع بين الأنا والآخر في إثبات السـمات التي تحمل صـفات هوية كل منهما، إذ يقاوم الأنا في الدعوة إلى الحفاظ على خصـائص الهُوية، في حين يسـتعمل الآخر قوته في سـبيل إلغاء الأنا وذوبانها عن طريق الإجبار والقمع، وعند المسـاس بأهمّ مكوّن للهُوية أي الجانب الديني الذي يمثل رافداً لها، ومحافظاً عليها، وداعماً في اسـتمراريتها، لما يمثل من مكانة سـامية في نفوس أتباعه، لحمله قدسـية الكلمة، ووحدة الصـف، وتفرّد أصـحابها بخصـائص تميّزهم عن غيرهم، وتمثّل العلاقة مع الخالق وانفراد الإنسـان بخصـوصـيته في تلك العلاقة، لذلك تسهم عملية انتزاع الهُوية الدينية إلى تحول الأنا إلى آخر فهو انتزاع سريع ومباشر (خليفة، ٢٠٠٣، ١٠٧) ؛ لأنّ الآخر المستلب يلاحق الأنا في السر والعلن، ويسعى إلى زحزحة العقيدة التي تشـكّل خطراً عليه وإلغاء ثوابتها من الأذهان ومن ثم القلوب؛ لإفراغ الأنا من المعتقد القديم وفرض معتقد جديد يمثّل السلطة الجديدة التي تستدعي كل من يطأ أرضـها أن يدين بدينها حتى وإن كان ظاهراً من غير قناعة.

وبعـد أن تغيّر ميزان القوى وانتقلـت المركزيـة في شـــبـه الجزيرة الأيبيريـة من الحكم الإسـلامي إلى المسـيحية بعد سـقوط غرناطة، إذ تحول الأغلبية إلى أقلية، والأنا إلى آخر، مما جعل المساس بالهوية الإسلامية شاغلاً يشغل السلطة القشتالية التي استعملت مقوماتها السلطوية كلّها في سبيل كاثلوكية إسبانيا، ويجعل الروائي من قرار التنصير الذي أصدرته السلطة القشتالية في تنصـير المسـلمين أو رحيلهم أول خطوة في اسـتلاب الهُوية الموريسـكية الإسـلامية، لذلك يقرأ الراوي رسـالة (محمد بن عبد الله دي مولينا) المؤرّخة في عام (١٥٠٢م) التي تنذر بالفاجعة التي تحلّ على أهل الأندلس في إصـدار الملك لمرسـوم التنصـير فقال: **((اليوم يا أبنائي يتحقّق ما تنبأنا به... اليوم يُخيّر المسلمون ما بين التنصير أو الرحيل النهائي قطعياً... ما فات مقارنة بما هو آت كان تسامحاً، وما بين المُرّين سيختار أهالينا الأقل مرارة: التنصير، فالفقراء ليسوا من عِلّيّـة القوم كي يهـاجروا، وليســـوا من قـادة الجيش كي يجـدوا مخرجـاً،... من اليوم سيصيرون المسيحيون الجدد، من اليوم ستنصب لهم محاكم التفتيش كما نصبت لنا، ستعلّق رقابهم في المشـانق إن لم يأكلوا الخنزير، سـيصـومون رمضـان سـرّاً، سـيصـلّون في الخفاء، سيكتب عليهم يا أبنائي ما كتب على أهل كونكة من قبل: الصلاة للمسيح في العلن، والصلاة على محمد في الخفاء))** (عبد اللطيف، ٢٠١٧، ٧٥-٧٦).

تشعر الأنا المستلبة بالإذلال والحيف الذي يضرب أهم مكوّن في هُويتها، إذ يستلّ منها العقيدة التي تعدّ ركناً أساسياً في أيّ مجتمع، ومن ثم لم يكن استلاب العقيدة الإسلامية كافياً فيما يتعلق بالمُستلب، وإنّما إضفاء لقب جديد على المسلمين ألا وهو المسيحيون الجدد تمييزاً لهم عن غيرهم، وإشعار الأنا باختلافه حتى وإن اندمج في عقيدة الآخر، لكن تبقى الجذور تشير إلى الأصول التاريخية للأنا المستلبة، فتختار بين الأمرين: إما التنصير وإمّا الرحيل، وكلاهما قهر للأنا، واستبعاد لها سواء على سبيل العقيدة أم الأرض، لذلك ينشأ استلاب خارجي في التظاهر بالمسيحية وكتم الإسلام وحالة التأقلم مع الظروف الجديدة والإسهام في الحفاظ على الدين الإسلامي سرّاً عن طريق الصوم والصلاة سرّاً، فتنشأ رحلة جديدة غير مألوفة تشكّل الذات الجديدة في ظلّ العوامل الخارجية التي رافقت تشكّلاتها والسعي إلى الحفاظ على العقيدة لإسهامها في استمرارية الأنا في توارث الأجيال وتحقيق رسالتها.

والاستلاب يتحقّق عن طريق إرغام الأنا في اتباع عقيدة الآخر والتخلي عن معتقداتها، إذ تروي (عائشة دي مولينا) في أوراقها المؤرّخة في عام (١٥٢٤م) ما شاهدته من حالات التعذيب للمسلمين الذين اتهموا بصوم رمضان فقالت: **((من الشباك، الشباك الصغير، أتطلع للشارع، في الشارع رؤوس معلّقة في مقاصل، في الساحة، ساحة كوينكا، رؤوس أقاربي تتساقط، الرؤوس المعلّقة بصوت يستنجد بالحياة تقسم أنّها لم تصم رمضان، الرؤوس المعلّقة في يأس تودّع الحياة))** (عبد اللطيف، ٢٠١٧، ١٢٥)، إنّ حالة القهر القسري، وإبعاد المعتقد من أيّ شعيرة يفعلها الأنا المُستلب تشير إلى انتقال الآخر من محذّرٍ إلى مهدّدٍ بزوال الأنا؛ لأنّه بحث في ثنايا العمق الوجودي لذهن المستلب واتخذ من تتبعه ذريعة لبثّ صورة نمطية تحيل إلى انقطاع الأمل في عودة المستلب لحرية العقيدة، وإرغامه على الإذعان لأحكامه.

وتستمرّ حالة الاستلاب التي يتعرّض لها الموريسكيّون إلى عهد فليبي الثاني التي أرّخت أوراقها في عام (١٥٧١م) فقالت: ((فليبي الثاني بيد ملوّثة بالدماء، يصدر مرسوماً بدماء أكثر، لم يكتفِ يا للغرابة بتنصير أهالينا، لم يكتفِ يا للغرابة بقهرهم، لم يكتفِ بقسوته بمحاكم التفتيش... هل يمكن تغيير الدين بالقهر؟... بفرمان الملك كما نرى نودّع خانة التنصير إلى خانة الإذلال، إلى خانة الطرد المقنّع إلى خانة الكراهية... الكهّان بظن أنّهم يملكون الحقيقة يقتلون الكهّان بظن تطهير أرواح المسلمين يحرضون على الحرق، ما السبب إن كان ثمّة سبب للقتل باسم الله؟ باسم الله أم باسم الملك أم باسم الأراضي والبيوت؟ أم باسم الكراهية؟ لماذا تريد أن أشبهك لتقبلني؟ لماذا تشغل نفسك بهدايتي؟ باقتيادي للجنة؟ بتطهير روحي؟ التسامح ليس أن نكون شبيهين، بل نقبل بعضنا على اختلافنا)) (عبد اللطيف، ٢٠١٧، ١٥١-١٥٢).

نجح الروائي في خلق متعة قراءة التاريخ عن طريق إضـفاء عامل التحليل للظواهر التي شـكّلت الاسـتلاب، وإعطاء وجهات نظر مختلفة في أحداثه، وهذا يمثّل تطوّر فكر الشـخصـيات الروائية التي مثّلت أجيالاً مختلفة تمتد إلى عشـرات السـنين، فكلّما نضـجت الأفكار، ورجعنا إلى الماضـي شـاهدنا الخلل ووجدنا الحلّ؛ لاختلاف وجهة النظر الآنية عن الواقع الأول الذي شـكّل ردّ فعل الأنا في لحظتها، فالتأمل، وتمحيص المواقف يحيل الأنا إلى الخروج من المحن بأقل التضـحيات، فجدلية الأنا المستلبة والآخر الذي حول نشـاطه السـلطوي إلى قهر المغلوب وإذلاله ليقضي على عامل الاختلاف، وتقويض الحرية الدينية ومحاكمتها نيابة عن الخالق، أعطى الحقّ لنفسـه في اختيار الدين، والمعتقد، والهداية للمستلب ومحاكمته على اختلافه باسم الدين، فاحتدام الصـــراع ولّد الكراهية التي هزّت المســتقل وحفّزت المســتلب إلى فرض القوة على المختلف؛ في سبيل تحقيق التشابه المزعوم في المعتقد.

وقد يلحق الاسـتلاب بالآخر الذي يرى في المغلوب ضـحية للمركزية والسـلطوية المنتمي إليها لتعمله مع الأنا المســـتلبة بإنســـانيته، إذ يروي(إبراهيم بن ميجيل دي مولينا) في أوراقه المؤرخة في عام (١٦٧٩م) فقال: **((علمنا نحن قس كوينكا أنّ الســيد ســانتشــو دي كاردونا أدميرال مسيحي الديانة، إسباني الجنسية، يتسّر على المسلمين المسمين بالمسيحيين الجدد، وأنّه يدافع عنهم ويحميهم، يستضيفهم في بيته ويأكل معهم لحم الغنم، كما أنّهم يتستضيفونه في بيوتهم، ويعلم أنّهم لا يأكلون الخنزير ولا يشـــربون الخمر ولم يبلّغنا))** (عبد اللطيف، ٢٠١٧، ٢٣)، انتقل الروائي إلى تحقيق المصـداقية في روايته حينما نقل نصـوصـاً مترجمة عن محاكم التفتيش الإسـبانية التي نكّلت بالمسـلمين، ونقلها بتاريخها ونصـوصـها، لذلك يشـير إلى تحوّل الصـراع من الأنا والآخر إلى الآخر مع الآخر، والمسيحي مع المسيحي، إذ بقي المستلب هو الأنا المسـلمة، إلّا أنّ تحرّك الآخر في مسـاعدة المغلوب ومسـاعدته في تحقيق ذاته يشـكّل تطوراً لنبذ الصراع الديني والاعتراف بالاختلاف الذي يستظلّ تحت سماء الوطن.

شـــكل اســـتلاب الهُوية الدينية عاملاً مهماً في إثراء النص الروائي، وبيان ثنائية الأنا والآخر، والغالب والمغلوب، ونقل مشـكلة الصـراع ومنابعه الفكرية، والانقلاب المفاجئ لتحوّلات الأنا المســتلبة حينما أدرك الآخر أنّ ضــرب الهُوية يتمّ عن طريق انشــطار العقيدة الراســخة ومحاولة طمسها لتقويض حريتها وضعفها ومن ثمّ تلاشيها، فحاول المسلمون أن يستمدّوا هويتهم من خارج ذواتهم بعيداً عن إرادتهم؛ ليسـهموا في الحفاظ على هويتهم (ابن تمسـك، ٢٠١٦، ١٨) في الخفاء والتســـتّر عليها في دواخلهم وفي مخابئهم التي لفّها الخوف والتطلّع إلى الأمل في العودة أو الخلاص.

٢- استلاب الهوية الثقافية:

تعنى الأمم بمكوّناتها الثقافية التي تشـــكّل حضـــارتها بفعل القيم التي تحملها، والثوابت الراســـخة في ذهنية أصـــحابها، وتعطي للأفراد التميز عن ثقافات الأمم الأخرى؛ لأنّها تمثّل ((المجمل المتشابك المشتمل على المعرفة والعقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون، والعادات، وكلّ القدرات والممارسـات الأخرى التي يكتسـبها الإنسـان كعضـو في الجماعة)) (غيرتز، ٢٠٠٩، ٨)، وتتشـــكّل الهوية الثقافية عن طريق المحاكاة والتقليد أولاً ومن ثم إيجاد تفرّد تُعنى به الأفراد، أو البلدان، أو المجتمعات بانصـهار المعطيات المكتسـبة مع المبتكرة في البيئة الجديدة؛ لتسـهم بخلق هُوية تنشـأ بفعل الانتماء والتفرد الذي يميّزها، ومن ثمّ تتأسّـس وتزدهر لتكون وسـماً لحالة حضـارية تراكمية تمثّل نوع المعرفة وثوابتها التي ارتكزت عليها، ولا سـيّما الدين، واللغة، إذ مثّل الدين الركن الأول من أركان الهُوية الثقافية للمجتمع الأندلسي الذي شكّل الحياة، وأعطى للسلطة البقاء، ونسج المجتمعات، فكان رافداً مهماً من روافد الهُوية بشكلها العام، ومن ثمّ يعضّدها الركن الثاني ألا وهو اللغة التي تتضافر معطياتها مع الدين لينسجا خصوصية الذات المنتمية للجماعة، والمعبّرة عن كيان اجتماعي يتميّز بهُويته وحضارته عن الآخر.

وينشـأ الصـراع الثقافي نتيجة فرض الآخر على الأنا التبعية ومحاولة التهميش المفضـي إلى الرغبة في انعدام رؤية المكوّنات الثقافية لجماعة معينة تعيش وتسـتمر؛ لأنّها مصـدر يهدّد وجوده، لذلك تعاملت المركزية القشـتالية مع الهُوية الثقافية للموريسـك بتجريم اسـتعمالها، وعقوبة مكتسـبيها؛ لأنّهم أدركوا أنّ أيّ محاولة لإلغاء الذات المسـلمة لن تنجح إلّا إذا قضـي على اللغة التي تجمعهم بدينهم، فنشـأ لذلك ((جيل متململ لم يحسّ يوماً بأنّه ينتمي إلى الثقافة المسـيحية التي فرضـت عليه فرضـاً كما أنّه أصـبح بعيداً عن ثقافته الأم)) (طبيش، ٢٠٢١، ١٧٦)، فتشـظّت الهُوية ونشـأت أجيال بعيدة عن منابع صـفاء الثقافة، ممّا خلق أفراداً ينتمون إليها عن طريق الرواية لا عن طريق الممارسـة، فكلّما تعاقبت الأجيال الموريسـكية زادت فجوة الانتماء الثقافي.

واستلهم الروائي الهُوية الثقافية في إظهار الاستلاب الواقع على الذات وانتزاع أركانها عن طريق توارث أفراد العائلة الموريسكية لنسخ المخطوطات التي تحمل مذكراتهم ليسهموا في الحفاظ عليها، فقد جاء في أوراق(إبراهيم بن ميجيل دي مولينا) والمؤرّخة في عام (١٦٧٩م) فقال: **((قال أبي: رتّب الأوراق بعد النسـخ، أرّخ الأوراق المؤرّخة عند النسـخ، تفادى التأريخ بالسـنوات الهجريـة إن ظهرت، واكتفِ بتـأريخ السـنوات الميلاديـة، لاحظ أنّ لغـة أجـدادنـا المـدجّنين والموريسكيّين تختلف عن لغة التراث العربي، تختلف كما تختلف عن لغة أجدادنا الأندلسيّين، امنح لكلّ جدّ صوته ما استطعت، وتجاهل أسماء الحكّام إن أردت كما تجاهل الحكّام أسماءنا في دواوينهم، ثمّ كرّر: النسـخ يجب أن يكون بالعربية))** (عبد اللطيف، ٢٠١٧، ٣٣)، صـوت

الأنا يســـتدعي الذاكرة ويحفّزها على التأمل في تشـــظّيها، إذ يشـــير إلى اختلاف اللغة بين الأندلسـيّين، والمدجّنيين، والموريسـكيّين، فالراوي يرمز إلى كلّ حقبة بلغتها، لتعبّر عن اسـتقلالية اللغة في كلّ عصـــر من العصـــور التي وجدت فيها الثقافة العربية ولغتها على أرض الأندلس، والانحدار الممنهج الذي سـلبها أصـالتها، فضـلًا عن التنكّر للتاريخ الهجري، وإحلال الميلادي محلّه لانعدام الإشـارة إليه عند الجماعة المنتمية إليه، لتعلّق ذلك بالمناسـبات الدينية وانحصـارها به، ليشكّل اسـتلاباً جديداً يمثّل مركزية السـلطة واندماج الأنا، وتسـهيل مهمّة حفظ الأحداث التي شـاعت بذلك التاريخ، فالناسـخ يمثّل جيلاً جديداً يجمع فيه بين الثقافة المسـيحية واللغة القشـتالية وقليل من العربية وتعاليم الدين الإســـلامي، لذلك حاول الراوي إعادة الكتابة باللغة العربية لردّ المذكّرات إلى منبعها الأول والإسهام في تنشئة الأجيال على لغتهم.

وعند تأزّم الهوية تسعى الذات إلى لملمة بقاياها وإيجاد مخرجٍ يسهم في بقائها واستمرارها، لفهم الماضـــي والحفاظ عليه واســـتمرارية المســـتقبل، لذلك تمكّن الموريســـكيّون من إيجاد مخرجٍ للغتهم عن طريق ابتكار لغة جديدة يفهمونها ويعلّمونها لأفرادهم ولا يتمكّن القشـــتالي من فكّ رموزها، لتكون لغة مغلقة لأفرادها فحســـب، تحافظ على ما تبقّى من ثقافتهم الدينية واللغوية والتاريخية، لكنّ معاناة الأجيال المتعاقبة من ذلك يشكّل عبئاً عليهم، ويفضـي إلى تشـرذم الهوية وأخذ أساسياتها رغبةً في اختصار المفيد منها والذي يخدم الأجيال واستمرارها، لذلك اتخذ الروائي الدافعية إلى تضارب اللغة بين الأجيال والتغريب الذي أصابهم بفعل السلطة القمعية التي سلبتهم هويتهم، عن طريق سـرد مذكّرات (خوان دي مولينا) في أوراقه المؤرّخة في عام (١٦٠٩م) فقال: **((لم يختلف كارلوس كثيراً عن عبد الله ربّما لم يعرف خوان من اللغة العربية إلّا حروفها، إلّا أنّ تكوينه كان أندلسياً، اللغة جزء من الهوية، كتابة خوان بلغة "الخاميادو" ليست دليلاً فحسب على هذه الهوية المنصـــهرة، بل إصـــرار أيضـــاً على الاحتفاظ بها منصـــهرة، هوية أجدادي، وبخاصة المولودون بعد التنصير، لم تنزع عنهم أندلسيّتهم، كلّ ما حدث أنّ اسم الهوية تغيّر، لم يكونوا عرباً بنقاء، لم يكونوا إســباناً بنقاء، كانوا أندلســيّين، الأندلســيّة هويّة ثالثة، هويّة جمعت بين الانتماء للأرض والانتماء للأصول البعيدة، جمعت بين هويّة المناخ والتقاليد وهويّة الدين. هل الدين أيضـــاً جزء من الهويّة؟... الأندلســـية مثل كلّ هويّة تتكوّن من لغة وثقافة وجذور، الأندلسيّة مثل جوّال ضـمّ في قاعة ديناً مسـلماً ولغة إسـبانية ومزيجاً من الثقافتين))** (عبد اللطيف، ٢٠١٧، ١٤٢-١٤٣)، يرجع الراوي بالهُوية إلى منابعها الأندلســـيّة، فعلى الرغم من تشـتّت أصـحابها بعد سـقوط غرناطة إلّا أنّهم ينتمون لها بفعل الأصـول والمكان الذي نشـأت فيه، فانبثقت عنها هُويّات متعدّدة منها: المدجّن، والموريســكي، فكلّ منهم يأخذ شــيئاً منها على وفق الظروف الخارجية التي عصـــفت بالذات والتكيّف معها، وخلق بدائل تســـهم في مقاومة

الازدواجية وتجديد الأصـــول بفروع تحلّ محلّها، فخلق بدائل للهويّة لمواجهة المتغيّرات التي فرضـتها عليهم الظروف، ومواجهة التحدّيات التي لا تنسـى لتكيّف الذات مع الواقع الموضـوعي والخروج بحلّ يعطي الاستمرارية لبقاء جذور الهُويّة (خليفة، ٢٠٠٣، ٦٦)، لذلك أشار الراوي إلى تغريب الذات وعدم معرفة هويّة الجيل الأول لغة الأجيال اللاحقة، ممّا شـكّل اسـتلاباً يعيش مع الذات ويتفاقم خطر التشـظّي لاسـتمرارية القمع السـلطوي عليهم، وعدم توقّفه وانشـغالهم بالحفاظ على الحياة أكثر من الشعور بكيانهم المطارد.

واشـتمال الاسـتلاب على مكوّنات الثقافة أجمعها عندما تنهب الهُويّة وتتصـادر روافدها التي تغذّي كيان أفرادها، لذلك يسـهم حوار شـخصـية (عائشـة دي مولينا) في أوراقها المؤرّخة في عام (١٥٢٨م) في بيان الأثر النفسـي الذي حرّكته ذكريات الماضـي فقالت: **((قبل النوم كطفلة أحكي لها حواديت، أقول لها، مثلاً، كان لنا أغنية وضـاعت، أقول لها، مثلاً، كان لنا رقصـة وضـاعت، أقول لها، كان لنا لسان وضـاع، أحكي لها، مثلاً، حكايات مرعبة، حكايات كما ترى عن قوم يعبدون الدم، يصـنعون منه بركاً، ويغتسـلون فيها، يتطهّرون من دنس أجسـادهم في برك الدماء المسفوكة، وفي الليل يقدّمون للبرك قرابين جديدة))** (عبد اللطيف، ٢٠١٧، ١٠٨)، تستشعر الأنا المستلبة هويتها عن طريق تعداد روافدها التي أقصيت من التمثّل لذاتها المسحوقة بفعل القهر والإجبار على تركها، فالروائي يجمع في نصّه السمات الثقافية التي تكشف عن هوية الأنا من الغناء، والرقص، واللغة التي ميّزتهم عن غيرهم وشـــكّلت ثقافة يعرفون فيها على مدى قرون متواصـلة، إلّا أنّ الضـياع قطّعها عن أصـولها، واسـتطاع الآخر المنتصـر من تفكيها على وفق انصـــهار الأفراد في بوتقة ثقافة السـلطة التي تشـكّل أفرادها بوسـاطة الأوامر الملكية التي تحقّق رغبة الآخر في السـيطرة المطلقة على المغلوب ومصـــادرة ثقافته، ليكون جزءاً من كيان المركزية الجديدة وإنشـاء جيل يرى المسـتقبل المجهول الذي يبنى على أنقاض الماضـي المسـتقر في الأنا الجمعية للمغلوب، لذلك رمزت الشـخصـية الروائية لصـورة المستلب بالدم كناية عن قوته في إذلال الأنا واسـتهتاره في قمع المختلف رغبة في تحقيق الاندماج، والتخلّص من الفوارق التي يراها بؤرة سـوداء في هالة الوطن، فحاولت الذات أن تتمسـك بثقافتها التي ورثتها عن أسـلافها لصونها والحفاظ عليها وحمايتها من الضياع (محمود، ١٩٨٥، ٣١٠).

إنّ رؤية الأنا المسـتلبة لوجهات النظر المتعدّدة في المحاولة على كسـر الحواجز التي فرضـــها الآخر المنتصـــر يمثّل عمق المقاومة الداخلية في تنازع الهويّة واحتضـــارها على أيدي أفرادها، إذ إنّ تعاقب الأجيال يمهّد إلى اضـــمحلال الهويّة وربّما تلاشـــيها، فلا بدّ من محفّز لها يعطيها استمراريتها بين المنتمين إليها، لذلك استعان الروائي بإعطاء صوت الماضي لهم؛ لخلق التأمّل في التحدّيات الثقافية التي واجهتها الشـــخصـــيات وإيجاد مخرجٍ يمهّد لخلق فرص جديدة

للبقاء، واستطاعت أن تذود عن نفسها باللجوء إلى الماضي وأمجاده لتفادي الذوبان بثقافة الآخر (حمود، ٢٠١٣، ٢١)، فانعاش الذاكرة بالماضي يسهم في تعزيز الهوية ويديمها.

٣- استلاب الهوية الاجتماعية:

يشكّل التعايش الاجتماعي واقعاً ملموساً في وضوح العلاقة بين الأنا والآخر، إذ عن طريقهما ينكشف التوافق والاختلاف لاستمرارية التعامل اليومي الذي يؤدّي إلى فهم كلّ منهما الآخر، وبيان هُويّة كلّ منهما، وهذا ما لجأ إليه الروائي في تصوير حالة العائلة الموريسكية ومعاناتها في ظلّ المجتمع القشتالي، وفرض ثقافة الأقوى ليعيش مجتمع الأقلية في دهاليز الحياة المخفيّة التي تشوّهت أركانها كلّها في نظر المستلب لحقوقه، ويتحقّق الاستلاب الاجتماعي في الرواية عن طريق إقصاء مظاهر الحياة اليومية المألوفة للمسلمين وإرغامهم على التخلّي عنها وعدّ من يمارسها خارجاً عن السلطة والعرف ومعاقباً بالطرد أو القتل، فضلًا عن ارتكاز الروائي على قرار الملك في إصدار الأوامر الملكيّة في تغيير هُويّة الموريسكيّين بالقوّة، لينشأ عليها متخيّله الروائي، وتضمّن قرار الملك وفقراته التي حرّمت كلّ ما له علاقة بثقافة الآخر المختلف، إذ روت (عائشة دي مولينا) في أوراقها المؤرّخة في عام (١٥٧١م) فقالت: **((فرمان الملك يأمر من جديد، بتحريم أيّ مظهر لثقافتنا، يحرّم من ضمن ما يحرّم، رقصة الثامبرا، يحرّم من ضمن ما يحرّم احتفالات السبوع، يحرّم من ضمن ما يحرّم دفن موتانا على طريقتنا، يحرّم بشكل أعمّ أن يتنفّس المسيحيّون الجدد... لا يمكن... أن تمحى عادات الناس المتجذّرة في أعماقهم؟))** (عبد اللطيف، ٢٠١٧، ١٥٢)، إنّ تعدّديّة المجتمع تسهم في انفتاحهم على التنوّع الذي يكسبهم تسامحاً وبناء حضارة تجمع الجميع تحتها، إلّا أنّ انسلاخ الذات من جماعتها، ونبذ ثقافتها، يسهمان في اتجاهات معاكسة إمّا الثورة أو الصمت والتفكير في مخرج يضمن السلامة، ويحافظ على هُويّتهم الاجتماعية قدر الإمكان، فتحريم المظاهر الاجتماعية للمسلمين من عادات وتقاليد، واحتفالات، ولّد رهبة تبعث على التأمّل في مسيرة الآخر السالب لهم، إذ كلّما مُنعت الذات من ممارسة عاداتها بالإكراه ازدادت تقوقعاً وانغلاقاً على نفسها، لتنتج ردود أفعال تسهم في رفد المحظورات بأشياء جديدة تنتمي إليه وتوهم السالب أنّه تأقلم معها علناً، إلّا أنّه في بواطن الأمور تكون حيلة أخرى للحفاظ على الهُويّة من الضياع في أعماق الذات، ويشعر الآخر أنّه استطاع محو المختلف وشكّله على وفق رؤيته بالقمع والإكراه ومن ثمّ الاستجابة أخيراً.

ومن ضمن الاستلاب الاجتماعي الذي تعرّض له الموريسكيّون في كوينكا، إجبارهم على لبس أنواع من الملابس، وهذا ما جاء في أوراق (محمد بن عبد الله دي مولينا) المؤرّخة في عام (١٤٤٣م) مبيّناً فيها تنفيذ السلطة لنزع الهوية منهم، فقال: **((ظهر أمامي شرطي، كان يعرفني وكنت أعرفه، كلّ يوم كنّا نتبادل التحية، ويجالسنا أحياناً في ورشتنا، مع ذلك تجاهل معرفتنا،**

سألني بصوت جاف لماذا لا أرتدي الملوطة الخضراء؟ في البداية ظننته... أنّه يمزح، ابتسمت وقلت له: لأنّ الأخضر يصفرّ ويقع من الشجرة، قال: إنّه لا يمزح، وقد صدر مرسوم ملكي بأن يرتدي كلّ المدجّنين ملوطة خضراء، كنت أعرف أنّ رجل الشرطة هو رجل السلطة... لم أجد ما أقوله للشرطي الذي كرّر أنّ عليّ العودة للبيت وارتداء الملوطة الخضراء، لم أجد ما أقوله للشرطي لمّا أمرني أن أبلّغ عائلتي وجميع جيراني من المدجّنيين أنّ زيّنا الجديد سيكون الأخضر)) (عبد اللطيف,، ٢٠١٧، ٦٢-٦٣)، انصياع الأنا لتنفيذ أوامر الآخر المنتصر يشكّل بعداً نفسياً عليهم، إذ انتقال الاسم من الأندلسي إلى المدجّن، ومن ثمّ الموريسكي، يمثّل انشغال الآخر في قمع المستلب بأيّ طريقة يشاء، ووضع علامات له على وفق رؤيتهم، لذلك مثّل استلابهم لنوع الملابس وتدخّلهم في خصوصية الفرد طوقاً يلفّ رقابهم، ويسمهم بالدونيّة التي فرضتها قيود السلطة، فالحوار الروائي بين السالب والمستلب يكشف عن انتماء اجتماعي متعايش بينهما، إلّا أنّ انصياع الآخر الشرطي لسلطة الملك وإسهامه في تنفيذ الأوامر حالت من دون أن يتأمّل في حقوق الأفراد على اختلافهم، وعدّ المدجّن مختلفاً يجب تمييزه لخوفهم من جذورهم الإسلامية، ولوسمهم بعلامات تميّزهم به لمعرفتهم بسهولة؛ كي لا يستطيعوا الاندماج وإعادة هُويّتهم من جديد.

وحينما تتيه الذات تتشظّى هويّتها وتصبح سلعة يتصيّدها الباعة، وتشعر بعدم الأمان في ظلّ الانقلابات المفاجئة التي رافقتها، ويطرد من انتمائه المكاني ويطأ أرضاً جديدة تغترب فيها الذات وتتهمّش بفعل انقطاع الجذور وهشاشة الحاضر، إذ عانى الموريسكيّون من ازدواجية الهوية على وفق رؤية الآخر لهم، على أنّهم مختلفون عنهم في إسبانيا، مختلفون في دينهم ولغتهم وثقافتهم، وعندما لجأوا إلى ديار المسلمين رأوهم مبتدعين في الدين والعادات وحتى اللغة فلم يستطيعوا التعايش مع المحيط الجديد، فضلًا عن مخاطر الهجرة التي جعلتهم فريسة للصوص وقطّاع الطرق، وهنا يشير الروائي إلى وضع علامات للموريسكيّين وختمهم بأختام ليبقوا محافظين على نسلهم، إذ يروي (إبراهيم دي مولينا) في تطوان عند موت والده في عام (١٦٧٩م) فقال: **((الحانوتي بقلب متحجّر جرّده من ملابسه، أثناء ذلك لاحظت ختماً عند بطن أبي، داخل دائرة الختم المستديرة استطعت قراءة كلمة "موريسكي" نفس الكلمة المطبوعة على بطني، نفس الكلمة التي ربما أجدها عند بطن أمي))** (عبد اللطيف، ٢٠١٧، ١١١)، أي المحاولة في البقاء من أجل استمرارية الهُويّة ولمّ الشتات الذي أجبرهم على التفرّق والغربة عن الأهل والوطن، فكان الختم علامة يستطيع الموريسكي معرفة أفراده منها، وكذلك التخفّي تحت الملابس وإخفاء العلامة لما يمثله ذلك من تقوقع على الذات والانتماء الجماعي الصامت

المحفوف بالخوف والقلق من الاســـتلاب الجديد الذي يتكرّر كلّما شـــعر بهم الآخر وأحسّ باختلافهم.

وما تزال الأنا الموريسكيّة تقاوم البقاء بين الماضـي والحاضـر، إذ كان انتقال عائلة (دي مولينا) من كونكة إلى تطوان واقتلاع الجذور من الأرض التي نشـــأوا فيها يجبرهم على التخلي عن بعض أفرادهم ليحافظوا على هُويّتهم ووجودهم في المكان الحامل لأصـــولهم، إذ بقيت الأم (ماريا) مع أولادها في كوينكة؛ لأنّ لها جذوراً مســـيحيةً، فيحقّ لها البقاء مع أولادها، في حين يجبر بقية أفراد العائلة على الرحيل، وهذا ما كانت العائلة ترغب فيه في جعل وطأة قدم لهم في ديارهم ليحافظوا على الهُويّة وذكرياتهم، أملاً في العودة من جديد، لذلك أخذت الخالة مكان الأم ورحلت معهم لتســهم المرأة في جمع الشــتات المتبقّي في الوطن، وتنشــئة جيل آخر في المنفى وتغذيتهم على لمّ الشــتات والانتماء للأندلس، وقد روتها (عائشــة دي مولينا) في أوراقها المؤرّخة في عام (١٥٢٤م) فقالت: **((أمي عاشت باسم خالتي، تذكّر، تذكّر معي، أمي عاشت بشهادة ميلاد خالتي، تذكّر أنّ أمي عاشـــت حياة خالتي، تذكّر أنّها عاشـــت حياتها بالنيابة))** (عبد اللطيف، ٢٠١٧، ١١٩)، فالاســـتلاب تكون نتيجة رغبة الذات بإبقاء الانتماء، ومحاولة محاكاة الجماعة وتشـكيل اختلافهم، ليكوّن انتماءات متعدّدة تصـبّ في بوتقة الجماعة، وحفظ الماضـي والإصرار على استيقاظ الذاكرة تحديد الهدف منها.

إنّ تعدّد مظاهر الاستلاب الذي وقع على الموريسكيّين أنطق الذات وفكّ شفرات الانزواء التي لحقتهم بفعل القمع والإجبار، إذ يكشـــف (خوان دي مولينا) في أوراقه المؤرّخة في عام (١٦١٠م) عن ســرّ الرجوع إلى الماضـــي، فقال: **((أدركت الآن ســرّ التواء رقبة عائلتنا، رأيت كيف حاول بعض الأجداد تجنّب توارث العلّة، دون جدوى، حتّى كشـــف التاريخ، التاريخ في الأربعين يوماً الأخيرة لم يكن منجياً، نحن نولد هكذا، بعلّة تنتقل عبر الجينات، فائدة الكشـــف تنحصر في معرفة أسباب العلّة، لا علاجها، تالياً لسنا في حاجة إلى ختم مستدير فوق بطوننا يحمل وصـفنا كموريسـكيّين، ولا إشـارات لقسـوة الفراق والتهجير فالعيّنة بيّنة))** (عبد اللطيف، ٢٠١٧، ٢٠٩)، تلاحق الذات المســتلبة التشــظّي، والخوف من الماضـــي المعلوم، والمســتقبل المجهول، إذ ترى الأجيال ضـعف الإرادة، يسـيطر عليها، فيشـعر بعدم الانتماء، والضـياع الذي يلتحفون به في حلّهم وترحالهم، وهذا ما شـــكّل علامة تيقّظوا لها بفعل التواء رقابهم كناية عن النظر إلى الوراء، أو الخوف القادم عليهم الذي يحقّق فزعاً يشلّ الذات ويقوّض اختلافها.

تحقّق الاســـتلاب الاجتماعي في النصّ الروائي عن طريق الحالات الواقعية التي بيّنتها الوقائع التاريخية المنسوجة بتخيّل يفضـي إلى إلباسـها لباس التوقع والخوف من القادم، والمناشـدة في إيجاد حلٍّ لتفاقمها، فتلجأ الذات إلى الدفاع والتيقّظ من الذوبان في مجتمع الآخر، وتجنّب

الوقوع في مسخ الهويّة، والبحث عن مؤتلف يزيد من شعورها بكينونتها، فتقوّي من الانتماء إلى الجماعة (حمود، ٢٠١٣، ٢١)، والتماهي في إيجاد بدائل لاختلافها وتميّزها لإقناع الآخر بالاعتراف بهويّتها.

٤- استلاب هويّة المكان:

يشكّل المكان الذاكرة الإنسانية التي تربط الأشياء به، لتحفّزها على استعادة الخواطر التي نشأت فيها، وتعزّز الشعور بالانتماء إليها، لذلك ربط الروائي أحداث الرواية بالمكان، إذ كان عنوان الرواية (حصن التراب) تشكيلاً لهُويّة المكان الذي يجسّد اسم المدينة، ومن ثمّ ينتقل إلى تخصيص هويّته حينما جاء بعنوان فرعي وسم بـ (حكاية عائلة موريسكية) فربط الروائي عن طريق العنوان بين المكان والهويّة، أي إعطاء المتلقّي المضمون منذ أول صفحة فيها، واتخاذ المكان أداةً لسرد الأحداث، وفكّ شفرات الشخصيات التي اتخذت منه وسيلة لردّ الاستلاب ومقاومته لتيارات السالب، فكان انتزاع الأرض الذي خرق الهُويّة وأبعدها عن انتمائها الوجودي يمثّل أثراً نفسياً وقع على انتماءات الموريسكيّين، لذلك نقل (إبراهيم دي مولينا) الأثر النفسي لوالده عندما انتزعوه من أرضه فقال: **((مثل نبتة صبّار في صحراء، كان أبي يشعر بنفسه في الحياة، نبتة انتزعوها من جذورها ليزرعوها في تربة غير تربتها، نبتة أصرّوا على أن تعيش بشروط التربة الجديدة، دون أن يدركوا أنّ الماء على كثرته، يصبّ في غير مكانه يصيب في غير هدفه))** (عبد اللطيف، ٢٠١٧، ١٢)، استطاع الروائي تحريك الذات والغوص في أعماقها النفسية التي كشفت شدّة الألم الذي واكبها، عن طريق تشبيه معاناة الأب بالصبّار المنقطع عن روافده، فكانت هذه النبتة منزوعة الإرادة والجذور والتربة، وانتقلت إلى تربة جديدة لا تنسجم مع جذورها، فكان الانقطاع عن المكان يبعدها عن الأصول التي شكّلت الحاضر برؤية اليأس والانهزام.

وتبرّؤ المكان من أفراده خلق اضطراباً وشتاتاً لاحق الموريسكيّين، إذ يروي (خوان دي مولينا) في أوراقه المؤرّخة في عام (١٦١٢م) فقال: **((على الضفّة الأخرى من البحر ألقوا بنا، كأنّنا حيوانات نافقة، لم نكن ندري في أيّ طريق نسير، لم نكن ندري في أيّ بيت سنقضي ليلتنا، ولا أيّ عمل سنعمل، برفقتنا كان الآلاف والآلاف، بأطفالهم وزوجاتهم، بعجائزهم ومرضاهم، بأمتعتهم فوق أكتافهم، وجروحهم النازفة، تأتي المراكب فترمي على نفس الشاطيء بالمئات وترحل، تطوان وفاس وطنجة تنظر إلينا كمنبوذين، المراكب تلقي بذوينا في شطآن لم نعرف بها إلى مدن ليست مدننا، وأنت تسأل يا ميجيل تسألني أين نحن؟ وأنا لا أعرف أين نحن حتى أجيب))** (عبد اللطيف، ٢٠١٧، ١٩٧-١٩٨)، إنّ عملية الطرد التي هُجِّرَ عن طريقها الموريسكيّون من ضمن الجرائم الإنسانية التي وقعت على مرّ التاريخ، إذ إنّ إرغام الآخر

المختلف على الرحيل بشكل تعسّفي وملاحقتهم بالقوّة بعد أن ألغيت أشكال انتماءاتهم كلّها يمثّل فاجعة إنسـانية تبعث على وحشـية السـلطة وفرضـها لرؤيتها على رعاياها المختلفين في آيديولجيّاتها، فكان انقطاع الانتماء للمكان والخروج من القمع إلى الشـتات، أثار الانحلال الاجتماعي وأسـهم في وسـمهم بالمختلفين أين ما ذهبوا، فرفضـتهم الأندلس، وأنكرتهم العدوة المغربية، فكانوا بين الانتماء واللاانتماء، فاسـتلاب المكان يعدّ أشـدّ وقعاً عليهم؛ لشـعورهم بعدم الثبات وافتراسهم السهل لكلّ من هبّ ودبّ.

وبعد الاستقرار في أماكن التهجير القسري للموريسكيّين، أنشأوا أمكنة تحاكي الماضـي وتشـكّل هويّتهم، إذ حكى (إبراهيم دي مولينا) في أوراقه المؤرّخة في عام (١٦٧٩م)، إذ قال: **((تأكّد أبي من غلق الباب، رغم أنّنا نعيش بمفردنا، وجلسـنا، جلسـنا على حصـيرة لم أجلس عليها من قبل، وتأمّلت الحجرة التي لم أرها من قبل، ولمحت شـقوقاً في الجدار، شـقوقاً بدت واشـية باقتراب السـقوط، أم كانت سـاقطة دون أن أدري، حينها تلفتُّ حولي لأحفظ في ذاكرتي محتويات الحجرة، الحجرة التي بالإضـافة للسـرير والسـحارة والحصـيرة، ضـمّت أوانٍ وأكواباً نحاسية، أشياء تبدو من زمن آخر، زمن يتّسق مع شقوق الجدار، زمن يتلاقى مع عيني أبي الميتتين. زمن بعيد، زمن بالطبع لم أشـهده، وبالطبع، كما حدسـت ينبغي أن أعرف عنه كلّ شيء))** (عبد اللطيف، ٢٠١٧، ٢٦)، تشكّل الغرفة المكان الذي استعادت فيه الشخصية هويّتها المنغلقة على نفسـها، إذ قاومت البقاء عن طريق اسـتحضـار الأشـياء والمقتنيات التي تعدّ رمزاً لهويّة ضائعة، هويّة تتعلّق بالزمن لتحافظ على وجودها، تقاوم عوامل التعرية التي فرضت عليها، تلملم الماضـي لقراءته للأجيال ولبرهنة الجذور، أملاً في تحقيق العودة ولو بعد حين من الزمن، فالقدم، ونفاسة الأشياء، وسرّيّة المكان كانت إشارات سردية تفسّر هويّة الموريسكيّين التي أطّرها الخوف والشـتات على الرغم من أصـالتها وعمقها التاريخي، إلّا أنّ الاسـتلاب اقتلعها من جذورها وقاومت التغيّرات التي فرضـت عليها، لكن على نطاق ضـيّق يحمل سـرّها المخفي عن أبنائها لتوارثهم العادات التي ترى في الكتمان بوحاً يسقطه الزمن، ولا سيّما عند إبلاغ الابن البكر بهُويّته ليتسلّم مهمّة الحفاظ على الهويّة.

ويبقى الحنين للمكان عالقاً في ذهن أصـحابها، ولا سـيّما إذا كان المكان خزيناً لذكريات تتمسّك بالأمل الذي يمدّ جسور الذات إلى ماضـيها، فتشكّلت هُويّة المكان واسـتلابه عن طريق قرار الطرد الذي لحق بالموريسكيّين لذلك يروي (إبراهيم بن ميجيل دي مولينا) في أوراقه المؤرّخة في عام (١٦٧٩م)، فقال: **((كان ثمّة مفاتيح، مفاتيح سـحبها أبي ومنحها لي، كانت كبيرة وضـخمة، كانت نحاسـية، كانت عدّة مفاتيح يجمعها حامل واحد فضـي، قال أبي: إنها مفاتيح بيتنا القديم، أيّ بيت؟ ابتسـم لسـؤالي، قال: بيت كونكة، بيوت كونكة، المدينة التي جئنا منها،**

المدينة التي طردونا منها، المدينة التي بقيت أرواحنا فيها حتى ولو لم نرها، قال: لا تنسَ أبداً اســمها العربي: كونكة حتى لو ســموها بـــــ كوينكا)) (عبد اللطيف، ٢٠١٧، ٣٤)، واجهت الموريســكيّون اســتلابهم لهويّتهم في الحفاظ عليها في الذاكرة، وإنشــاء هويّة تحاكي الموجودات المفقودة في المكان المســتلب، إذ شــكّل الحفاظ على المفاتيح رمزاً وأملاً في اســترداد الحقوق وشــاهداً على مأســاتهم التي نســفت حقوقهم، فالتذكير بالبيت القديم، ومدينتهم كوينكة، يمثّل الهاجس الخالد في أروقة الذات والبؤرة التي يأملونها في أن تشــكّل نوراً يخرجهم من ضــبابية العزلة إلى اســترداد المكان الذي به تعود الهُويّة مجتمعة بمقوماتها كلّها؛ لأنّ المكان بغير وعي من أصحابه يشكّل لهم أماناً، ويسترجع عن طريقه ما فقدته الذات من أسس وروافد تدعم الضياع الذي حال بينهم.

يمثّل المكان الســكينة التي تربط على الذات؛ لأنّها تعرفه وتســتطيع التأقلم مع ظروفه، مهما طرأت ظروف خارجية تعكّر صفوه، إلّا أنّ ترك المكان يعطي زعزعة الذات التي تفتّش عن مكان بديل تشكّل بها هُويّتها التي قد يصيبها التصدّع بفعل افتقارها للأسس المكانية التي تعوّدت عليها، فالنصّ الروائي جعل من المكان حاملاً لمجمل الســمات الموريســكيّة التي انبثقت عنهم وشكّلت صفاتهم المميّزة، فعند استلاب المكان فقدت الهويّة روحها الوجودي الذي تشدّ أزرها فيه.

وتعدّد صور الاستلاب في النصّ الروائي يشكّل قراءة أخرى لطرقها، والصراع الدائر بين الأنا والآخر، وإفراغ المستلب من المقوّمات التي تؤهّله للردّ أو المقاومة، فالتهديد بالوجود والانتماء يدعو إلى البحث عن الأصالة المتعمّقة في الذات للشعور بالأمان، والثقة في عودة الانتماءات الأساسية التي تجسّد الذات، لذلك يسعى الآخر السالب إلى القضاء على الثوابت كلّها التي تسهم في عودة الوعي للذات المستلبة (حمود، ٢٠١٣، ١٥) ونسف حقّ الذات في الجماعة، ليسهّل اختراقها ومحوها.

الخاتمة:

ختمت البحث بنتائج أهمّها:

– مثّلت رواية (حصن التراب) التخيّل التاريخي المسرود من وجهات نظر مختلفة، تحاول الوقوع على المشكلات والبحث في حلولها، عن طريق استنطاق شخصيات الرواية وإجراء تلاقح فكري يسهم في لملمة الواقع المأزوم في عالمنا العربي.

– يغلب على التاريخ الموريسكي الغموض وقلّة مصادره التي لا تعين الباحث على التبحّر فيه؛ لاعتماد أغلب مصادره على رواية المنتصر أي الإسباني الذي كتب التاريخ، ولم يعطِ فرصة للمغلوب التحدّث باسمه ورواية مأساته، وعدم انشغال الموريسكيّين في ذلك الوقت في الترف

الفكري الذي ينقل معاناتهم، وإنّما انشـغلوا في درء بطش السـلطة القشـتالية والمحافظة على اللغة والدين في جحور مظلمة لا يصل إليها إلّا من بلغ سن الرشد وحمل الأمانة، لذلك اختفت هُويّتهم وامتزجت بـالمحيط المفروض عليهم؛ خوفاً من العقـاب الـذي ينتظرهم، فجـاءت أحـداث الروايـة معتمدة على التخيّل والوثائق التاريخية لمحاكم التفتيش التي بنيت عليها الأحداث، وتماســـك الحبكة فيها.

– استطاع الروائي كشف المأساة الموريسكيّة عن طريق تتبّع معاناة أفرادها وبحثهم عن الانتماء المنقطع وازدواجيّة هويّتهم التي خلقها الصـراع السـلطوي بين الأنا والآخر، واسـتعمال سـلطتها في تفكيك كيان هويّتهم العربية والإسلامية عن طريق القمع والاستلاب الممنهج.

– تعدّدت صـــور الاســـتلاب وأشـــكالها في النصّ الروائي، إذ تفكّكت الهويّة الدينية، والثقافية، والاجتماعية، وحتّى المكانية للموريســـكيّين لتخلق مجتمعاً يقبع في الشـــعور بانتفاء المكان أي الوطن، لمظاهر الهُوية وأركانها كلّها والتي تمثّل انتماء الذات للجماعة، ومحاولة لملمتها عن طريق الذاكرة والبحث في موجودات الأجداد في ســـراديب التاريخ التي حافظت على الهويّة ومنابعها خارج حدود السلطة القمعية.

– كشـــف الروائي عن مصـــادره في كتابة الرواية، ولا ســـيّما في مخطوطات محاكم التفتيش الإسبانية وتتبع مأساة العائلة الموريسكيّة عن طريقها، وكذلك المصـادر الأخرى، التي بني عليها التخيّل الروائي، وهي عملية تسـهم في كشـف المظانّ المعتمدة من الروائي إلى المتلقي لإضـفاء المصداقية للأحداث وتحقيق الإقناع بها.

المصادر والمراجع:

١. ابن تمسك، مصطفى،٢٠١٦م، الدين والهوية بين ضيق الانتماء وسعة الإبداع (في التأصيل المفهومي للهوية)، (د،ط)، مؤمنون بلا حدود، تونس.

٢. ابن فارس، أحمد،١٩٧٩م، معجم مقاييس اللغة، (د،ط)، تحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.

٣. ابن محمد، علي، ١٩٩٠م، النثر الأدبي الأندلسي (في القرن الخامس– مضامينه وأشكاله)،(د،ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٤. ابن منظور، جمال الدين، ١٤١٤هـ، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت.

٥. بالنثيا، انخل جنثالث، ١٩٥٥م، تاريخ الفكر الأندلسي، (د،ط)، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٦. الجرجاني، علي بن محمد، ١٩٨٣م، التعريفات، ط١، ضبطه وصححه: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧. الجوهري، اسماعيل بن حماد، ١٩٨٧م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط٤، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت.

٨. حمود، ماجدة، ٢٠١٣م، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية مختارة)،(د،ط)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

٩. حنفي، حسن، ٢٠١٢م، الهوية، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.

١٠. خليفة، عبد اللطيف محمد،٢٠٠٣م، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، (د،ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

١١. ريكو، بول، ٢٠٠٩م، الهوية والسرد، ترجمة: حاتم الورفلي،(د،ط)، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، تونس.

١٢. زيتوني، لطيف،٢٠٠٣م، معجم مصطلحات نقد الرواية، ط١، دار النهار للنشر، مكتبة لبنان ناشرون.

١٣. الشامي، رشاد عبد الله، ١٩٩٧م، إشكالية الهوية في إسرائيل، (د،ط)،عالم المعرفة –الكويت.

١٤. طبيش، حنينة، ٢٠٢١م، الموريسكي، معضلة الهوية ورحلة البحث عن الذات، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، م٤، ع٢، جوان، الجزائر.

١٥. عبد اللطيف، أحمد،٢٠١٧م، حصن التراب (حكاية عائلة موريسكية)، ط١، دار العين للنشر، القاهرة.

١٦. علوش، سعيد، ١٩٨٥م، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط١، دار الكتاب اللبناني – بيروت، سوشبريس– الدار البيضاء.

١٧. غيرتز، كليفورد، ٢٠٠٩م، تأويل الثقافات، ط١، ترجمة: د.محمد بدوي، مراجعة: الأب لويس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

١٨. محمود، زكي نجيب، **١٩٨٥م**، في مفترق الطرق، ط١، دار الشروق، القاهرة – بيروت.

١٩. ميكشيللي، أليكس،١٩٩٣م، الهوية، ط١، ترجمة: د.علي وطفة، دار النشر الفرنسية.

٢٠. وهبة، مجدي، وكامل المهندس،١٩٨٤م، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، مكتبة لبنان – بيروت.

References:

1- Al-Jawhari, , 1987 AD. Al-Sihah Taj Al-Lughah and Sahih Al-Arabiyya, edited by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Dar Al-Ilm Lil-Malayin Beirut, fourth edition .

2-Al-Jurjani, Ali bin Muhammad.1983, definitions, compiled and authenticated by: a group of scholars under the supervision of the publisher, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah,.

3- Abd Al-Latif, Ahmed ,2017. Hisn Al-Tarab (The Story of a Morisco Family), Al-Ain Publishing House, Cairo, first edition.

4- Alloush, Saeed, 1985 AD, Dictionary of Contemporary Literary Terms, Lebanese Book House - Beirut, Suchpress - Casablanca, first edition .

5- Al-Shami, Rashad Abdullah , 1997 AD. The Problem of Identity in Israel, World of Knowledge Magazine - Kuwait.

6- bin Fares, Ahmed , 1979 AD. Dictionary of Language Standards, Verified by: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr,

-7-bin Muhammad, Ali , 1990 AD, Andalusian literary prose (in the fifth century its contents and forms), Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut

8-Ben Tamsak, Mustafa.2016 AD, Religion and Identity between the Narrowness of Belonging and the Broadness of Creativity (On the Conceptual Rooting of Identity), Believers Without Borders, Tunisia .,

9- Geertz, Clifford.2009, Interpretation of Cultures, Translated by: Dr. Muhammad Badawi, Reviewed by: Father Louis Wahba, First Edition, Arab Organization for.

10- Hammoud, Magda,2013. The Problem of the Self and the Other (Selected Narrative Models), National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait.

11- Hanafi, Hassan , 2012 AD. Identity, Supreme Council of Culture, Egypt, first edition .

12- Ibn Manzur ,Jamal Al-Din, 1414 AH, Lisan Al-Arab, Dar Sader, Beirut, third edition .

13- Khalifa, Abdul Latif Muhammad,2003. Studies in the Psychology of Alienation, Dar Gharib for Printing, Publishing and Distribution, Cairo.

14-Mahmoud, Zaki Naguib, 1985 AD, At the Crossroads, Dar Al-Shorouk, Cairo - Beirut, first edition .

15- Micheli, Alex, 1993 AD, Identity, Alex Micheli, translated by: Dr. Ali Watfa, French Publishing House, first edition .

16- Palencia, Angel Genthalith, 1955 AD. The History of Andalusian Thought, translated by: Hussein Mu'nis, Library of Religious Culture, Cairo,

17- Rico, Paul , 2009 AD. Identity and Narrative, translated by: Hatem Al Warfalli, Dar Al-Tanweer for Printing, Publishing and Distribution, Tunisia .

18- Tabish, Hanina,2021. Al-Mouriski, The Dilemma of Identity and the Journey of Self-Search, The Reader's Journal for Literary, Critical, and Linguistic Studies, Volume Four, Issue Two, June

19- Wahba, Magdy, and Kamel Al-Muhandis, 1984 AD, Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature, Lebanon Library - Beirut, second edition .

20- Zaytouni, Latif, 2003 AD. A Dictionary of Novel Criticism Terms, Dar AlNahar Publishing House, Lebanon Publishers Library, first edition,.